

## نـِعْمـَة إـِرـَسـَال الرـَّسـُول وـِالـَّأـَنـْبـَيـَاء



هذه نـِعْمـَة من نـِعْمـَة الله على الإنسان ومظهر من مظاهر تكريمه وتفضيله، لقد أرسل الله له الرـَّسـُول على فترة من الزمن مبشرين ومنذرين وحملوا لهم شريعة الله وقوانينه التي ينبغي أن يلتزموا بها ليسعدوا في دنياهم وأخراهم، وهذه رحمة من الله بعباده، فالإنسان برغم ملكته العقلية لا يستطيع أن يتوصّل بمفرده لمعرفة الغيبات والحقائق التي فوق قدراته العقلية، ولا يمكنه أن يضع شرائع وقوانين مضبوطة تنظّم العلاقات والسلوك والمعاملات التي تحفظ حقوق الأفراد والجماعات، فالقوانين الوضعية هي اجتهادات بشرية قد يصيب فيها واعوها أو يخطئ، أو قد تضعها جهة تريد المصلحة لنفسها أو عشيرتها.

أما قوانين الرسالات السماوية فهي رحمة للناس كافية، تعصّمهم جميعاً من الخطأ وتبين لهم الأحكام الصائبة وتساوي بينهم، فلا يفضل أحدهم على الآخر إلا بالتفوّق والعمل الصالح، كما أنّ الرسالات السماوية حجة على الإنسان أمام الله، فلا يستطيع إنكار ما جاء به الرـَّسـُول: (رَسُولُكُمْ مُبَشِّرٌ لَكُمْ وَمُذَرِّبٌ لَكُمْ لِتَذَكَّرُوا إِنَّهُ جُنَاحٌ بَعْدَ الرَّسُولِ) (النـِّسـَاء / 164)، والقرآن الكريم الذي جاء به خير ولد آدم (عليه السلام) جاء بلسان عربي مبين، وهي لغة القوم الذين خطّبهم الرسول الأمين (صلى الله عليه وآله وسلم): (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعْدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقَوْنَ أَوْ يُحَذَّرُ لَهُمْ ذِكْرًا) (طه / 110)، وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) من صميم القوم وأشرفهم، يعرفون نسبة وأخلاقه وسيرته، وقد ذكر الله فضل الرسول الأمين (صلى الله عليه وآله وسلم) على قومه، فقال عزّ وجلّ: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتَّلَقَّهُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّكُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنَّ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفْلِي ضَلَالٍ مُبَدِّيِنَ) (آل عمران / 164).

لقد أرسله الله بالهدى ودين الحقّ لقومه وللنـِّاسـَ جميعـَةـَ في كل زمان ومكان حتى لا يكون للناس حجة على الله: (يـَـأـَـيـُـهـَـا~ الـَّـسـَـاسـُـ وـَـقـَـدـُـ جـَـاءـَـكـُـمـُـ الرـَّـسـُـولـُـ بـِـالـَّـحـَـقـَـ مـِـنـُـ رـَـبـِـكـُـمـُـ وـَـأـَـمـَـدـَـنـُـوا خـَـيـَـرـَـا لـَـكـُـمـُـ وـَـإـَـنـُـ تـَـكـَـفـُـرـُـ وـَـإـَـنـُـ فـَـإـَـنـَـ لـِـلـَـهـَـ مـَـا فـِـي السـَـمـَـاءـَـ وـَـأـَـلـَـأـَـرـَـضـَـ وـَـكـَـانـَـ إـَـلـَـيـَـمـَـا حـَـكـَـيـَـمـَـا) (النـِّسـَاء / 169)، وقوله تعالى: (وَـمـَـا أـَـرـَـسـَـلـَـنـَـاكـَـ إـَـلـَـا كـَـافـَـةـَـ

لِلْمَذَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (سبأ / 28).

وال المسلمين مطالبون بتبلیغ هذا الدین في كل زمان ومكان بالحكمة والموعظة الحسنة، فلا إکراه في الدین بعدما تبین الرشد من الغيّ، لأنّ كلّ ما جاء به رسول الله عليه وآلله وسلم من ربّه وما دعا إليه وأقواله وأفعاله وتقريراته هو صدق ينبغي أن يتلزم به المسلم ويبلّغه بأمانة: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِنَا أُسْوَةٌ حَسَدَةٌ لَمَنْ كَانَ يَرْجُو أَنَّ الْيَوْمَ أَلْآخِرَ وَذَكَرَنَا كَثِيرًا) (الأحزاب / 21).

ختاماً، فلينظر الإنسان وليتأمّل بعقله لكي يقدّر كلّ نعيم الله عليه، فلم يتركه للأهواء والطعنون ولا لعقله المحدود، فالخبر العليم بكلّ الأمور يعلم أنّ الإنسان خلق ضعيفاً في قدراته الجسمية والعقلية والنفسية، فاقتضت رحمته الواسعة الأخذ بيده ليسلّك طريق الخير التي يبيّنها له الرّسل والأنبياء، فكان الوعيد والوعيد وبيان ما حاق بالآدميين الطالمة التي سبقت عبرة لكلّ مَنْ يتذكر وينبئ إلى الله: (أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكَنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنَيْمَكَنْدَاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ نُكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا أَلْأَزْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكَنَا مِنْ بِدْنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنَزَا آخَرَينَ) (الأنعام / 7). هذا جزء بسيط من رحمة الله الواسعة بعباده وفضله وكرمه عليهم، وتفضيله على كثير من المخلوقات، فلينظر الإنسان إلى هذه الرحمة وهذا التفضيل بتأمّل ويشكر الله على ما أعطاه وسخر له.